علم إنباط المياه الخفيّة عند العرب

و «كتاب عين الحياة في علم استنباط المياه» ومؤلفه (٥)

محمد بهجة الأثري



فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي

ج١/م٣٩

شعبان ١٤٠٨هـ ــ آذار ١٩٨٨م

علم إنباط المياه الخفية عند العرب

و «كتاب عين الحياة في علم استنباط المياه» ومؤلفه (*)

الأستاذ محمد بهجة الأثري
(عضو المجمع)

(١)

عنصر الماء ، الّذي هو أحد العناصر الأربعة الّتي كان القدماء يظنّون أنّ العالم مُرَكّبٌ منها ، هو مادّة الحياة ، وسرّ دوامها ما كتب لحيٍّ من دوام ..

(*) تنبيه : يقال في اللغة : نَبَطَ الماءُ يَنبُطُ ويَنبِطُ نَبْطاً ونُبُوطاً ، نَبَعَ . واسم الماء الذي ينبُطُ من قعر البئر إذا حُفِرت : النَّبَطُ ، والنُّبْطَةُ ، والنَّبِيطُ . وقد حكى أهل اللغة في تعدية فعله اللازم أربع لغات : نَبَطَهُ نَبْطاً ، وانبطه إنباطاً ، واستنبطه استنباطاً ، ونَبَّطه تنبيطاً ، وهي تشترك في معنى واحد ، هو الإخراج أو الاستخراج ، غير أن بينها فروقاً دقيقة تُلحَظُ في تنويع صِيَغِها وفي الاستعمال الّذي يقتضيه هذا التنويع . فأمّا (نَبَطَهُ) و (أنبطه) ، فهما ألصق بالأشياء المادية ، وأولها الماء . و (أنبطه) أكثر من (نبطه) استعمالاً في الكلام ، وإيّاه آثر الحاسب المهندس الكَرَجيّ ، فاستعمل مصدره في تسميته كتابه (كتاب إنباط المياه الخفيّة) . وأما (الاستنباط) ، ففيه معنى الطلب ، ومنه الحديث في إحدى روايتين فيه : « ورجل ارتبط فرساً لِيَستَنبِطَها » ، أي : « يطلب ما في بطنها » ، وفيه معنى استخراج المعاني والآراء بالتفكير ، فيقال : استنبط معنى حسناً ورأياً صائباً ، واستنبط المسألة من العلم : استخرجها بالنظر في الأدلّة ، واستنبط الفقيه الحكم الشرعي من الدليل ، وعليه الآية الكريمة « ٨٣/النساء » : (ولو رَدُّوهُ إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لَعَلِمَهُ الذين يستنبطونه منهم) ، أي : يستخرجون الرأيَ الصحيح . وقد عده الزمخشري في أساس البلاغة من المجاز . وأما (نَبَّطَهُ) ـ بالتضعيف ـ فيراد به المبالغة في الإنباط . وقد آثرت في العنوان (الإنباط) على (الاستنباط) للسببين المعللين المذكورين ، خلافاً لمؤلف هذا الكتاب . وقد استعمل (الاستنباط) بمعناه اللغوي ، ولم يلحظ ما لحظته من وجوه الفروق المعنوية واستعمالها في الكلام .

كلّ شيء حيّ من كوائن هذه الأرض ، مجعول منه (وجعَلْنا من الماء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) . وعند ينابيعه ، وعلى شواطيء أنهاره ، قام في الأرض العمران ، وازدهرت الحضارات ، منذ بدأ البشر يتجمّع ويتوحّد ، ويلتمس لسكناه أسباب الاستقرار ، ولمعاشه روافدَ الحياة وما تيسّره له من وسائل التّماسُك والنَّماء . وبالماء يُروي غليله ، ويُزيح علله ، ويرتفق في شؤون الحياة ، ويسقي حَيَوانه وغراسه وزرعه الّذي يتغذّى بأُكُله وثماره . ولذلك كان هذا المـــاء شغل النّاس الشّاغل ، يرتادونه حيث يكون ، وَيَجِدّون في طلبه وتوفيره لايفترُون . واذا ضَنَّتْ به أرض على ناسها ، أو سالكيها ، نقّبوا عنه في بطنها وأنبطوه ..

وهذا الماء على سطح الأرض ، يؤلّف ثلاثة أرباعها ، أو أربعة أخماسها ، ولم يعدم بطنها في القِفار اليوابس والسَّباسب الجُرْد مقاديرَ عظيمة منه ، كما يُعْرَفُ ذلك في الصّحراء الغربيّة ، وسَيْناء ، وجزيرة العرب . فثَمَّ في بطون هذه الصّحارى وغيرها مستودعات ضخمة من المياه قارّةٌ أو جارية في الكظائم(١) ..

والعرب في قديم دهرهم وحديثه — وهم يُجَوّلون في قِفار جزيرتهم ، وتشتدُّ فيها حاجتهم الى الماء لشرب الشَّفَة وسقي السَّوائم — قد رزقوا فِراسة حاذقة يتعرَّفُون بها مكامنَ الماء في بطن الأرض ببعض الأمارات الدّالّة على وجوده ، وبُعدِه وقربه ، بشّم التُّراب ، أو برائحة بعض النَّباتات فيه ، أو بحركة حيوان مخصوص . وقد سمّى العلماء معرفتهم هذه (علم الرّيافة).(٢)

قال العــلامة الآلُوسيّ : « وهو من فروع الفِراســة ، وهي موجودة في بعض أعراب (نَجْد)، وقد أخبرني بعض الثِّقات أَنَّهُ شاهد بعض هؤلاء،

(١) ينظر بحثنا « خواطر وسوانح في مشكلات الماء .. » في مجلة الأكاديمية المغربية ج ١/م ١ .
(٢) مفتاح دار السعادة : طاشكبري زاده (١/٣٥٥) ط . مصر ، وبلوغ الأرب في أحوال العرب : محمود شكري الألوسي (٣/٣٤٣) ط ٣ ، مصر .

قال : يَضَعُ أُذُنه على الأرض ، فيخبر بما يتبيّن له من وجود الماء وعدمه ، وقُربه وبُعده . فاذا حفروا ، وجدوا الأمر كما وصف » .

وأقول : وقد سمعت « إذاعة الكُوَيْت » ، وأنا أكتب هذا ، تذكر رجلاً منهم في أيّامنا هذه فاتني اسمه للمفاجأة وسرعة الكلام ، قد بلغ في هذه المعرفة مبلغاً عظيماً ، وأُنبِطت بدلالاته آبار كثيرة في أرض الجزيرة لم يخطىء في واحدة منها .

قال العلامة الأَلُوسيّ : « ويُسَمَّى مَن له هذه المعرفة اليومَ (النَّصّات) » . ولم تذكر معاجم اللغة (النَّصّات) ، وهو من مبالغات اسم الفاعل ، من : نَصَتَ الرَّجُل يَنْصِتُ نَصْتاً : سكت سكوتَ مستمع ، وأنصت — وهي لغة أعلى ، وبها جاء القرآن الكريم في آيتين : (قالوا : أَنْصِتُوا) «٢٩ — الأحقاف» ، (واذا قُرِىء القُرآن فاستَمِعُوا له وأَنْصِتُوا) «٢٠٣—الأعراف» . وانتصت : لغة ثالثة ، ومنها بيت الطِرِمّاح الآتي . وورد في (كتاب البُرْصان[٣]) لأبي عثمان الجاحظ : (المِنْصات) ، ولم تذكره معاجم اللغة كذلك ، وهو من أوزان مبالغة اسم الفاعل أيضاً ، قال الجاحظ : « ويُقال : إِنَّهُ لَمِخَشٌ ، وإِنّه لَخِرِّيتٌ : إذا كان دليلاً (مِنْصاتاً) » .

وهو (القِنْقِنُ) ، و (القُناقِنُ) بالضمّ ، وجمعه (القَناقِنُ) بالفتح . وقد عرّفته دواوين اللغة بأنّه « البصير بالماء تحت الأرض » ، و « البصير بحفر المِياه واستخراجها » ، و « الّذي يسمع فيعرف مقدار الماء في البئر قريباً أو بعيداً » — من القَنّ ، وهو « التَّفَقُّدُ بالبصر[٤] » .

وقد وردت (القُناقِنُ) بالإفراد في خبر عن ابن عبّاس ، رضي الله عنهما : أنّه سُئِلَ : « لِمَ تَفقَّدَ (سليمانُ) الهُدْهُدَ من بين الطّير ؟ قال : لأِنّه كان (قُناقِناً) يعرف مواضع الماء تحت الأرض[٥] » .

(٣) البرصان / ص ٥١٠ .
(٤) تهذيب اللغة ، ولسان العرب : والقاموس المحيط ، وتاج العروس (ق/ن/ن)
(٥) لسان العرب ، وتاج العروس .

وورد (القَناقِنُ) بالجمع في شعر للطِرِمّاح بن حكيم (ت/نحو ١٢٥ هـ) ، قال :

يُخافِتْنَ بعضَ المَضغِ من خَشيَةِ الرَّدى
ويُنْصِتْنَ للسَّمع انتصاتَ (القَناقِنِ)(٦)

و (القُناقِنُ) يقال له بالفرنسيّة « hydroscope , sourcier »
وبالإنكليزية « dowser » ، و ((hydroscope)) أيضاً كالفرنسية .

ويقال لمن يقوم بالحفر وإنباط الماء (القَنّاءُ) .

وقد تطَوَّرت هذه المعرفة الفِطرية عند العرب ، إبّانَ تفَجُّرِ ينابيع العلم في الإسلام ، وتبَحُّرُ العلماء المسلمين فيه ، وإقامة الحضارة الإسلامية وعُمرانها على أسسه وقواعده ، فصارت بجهود علماء الرياضيّات والطّبيعيّات علماً محرّراً ومُدَوَّناً ، وفنّاً تطبيقيّاً بالغ الدّقّة ، ارتقى به بعضهم الى اختراع موازين يَزِنُ بها ارتفاعات الأرض، على النّحو الدّقيق الّذي اهتدى إليه وشرح صفته المهندس الرّياضيّ «الحاسب الكَرَجِيّ» على ما ستأتي الإشارة إليه.

وبدأ العلماء المسلمون التّأليفَ في الماء في أواخر المئة الثّانية الهِجريّة ، وقد تناولوا بحثه من نواحيَ مختلفة(٧) ، وأرقاها وأبلغها فوائدَ وعوائدَ ما ألفوه في « إنباط المياه الخفيّة » ، ولكن على قلّة مع الأسف .

ولعلّ أوّل كتاب في هذا الفنّ ، بلَغَنا خبره ، هو « كتاب علل المياه وكيفيّة استخراجها وإنْباطها في الأَرَضين المجهولة » .. ألّفه أبو بكر أحمد بن عليّ المعروف بابن وَحْشيّة ، من أهل المئة الثّالثة والمئة الرّابعة(هـ) . وقد عرَفْنا من هذا الكتاب اسمه ، ولم يبلغنا عن وجوده في مَظِنّةٍ ما خبَرٌ .

(٦) ديوان الطرماح (ص ١٦٩) ، والمراجع السابقة .
(٧) مقدمتي لكتاب « الماء وما ورد في شربه من الآداب » : تأليف العلامة محمود شكري الألوسي ، طبعة « أكاديمية المملكة المغربية » .

ووضع فيلسوف العرب أبو يُوسُفَ يعقوب بن إسحاق الكِنْدِيّ ، المتوفّى نحو سنة ٢٦٠ هـ ، شرحاً على «كتاب في قَوْد المياه» ، أي : جَرِّها ، لفيلون البيزنطيّ .. ذكره أبو عمر أحمد بن محمّد بن حجّاج الاشبيليّ في كتاب «المقنع في الفلاحة» ، ونقل الى كتابه فصلاً منه «فيما يعرف به قربُ الماء من بُعده ، وحُلْوُه من مُرّه» ، وقال في صفته : «وهو أحسن كتاب أُلّف في هذا الشّأن ، ولابُدَّ لمن أراد قَوْدَ ماء من موضع بعيد الى مدينة أو قرية أو نحوهما من تصفُّح هذا الكتاب ، لِما فيه من المنافع وقرب المأخذ» .

وفي المئة الخامسة الهِجريّة ، أَلّف المهندس الرّياضيّ أبو بكر محمّد بن الحسن الحاسب الكَرَجيّ ، المتوفّى نحو سنة ٤١٠ هـ - «كتاب إنْباط المياه الخفيّة» . وقد عُثِر على نسختين منه في بعض خزائن الكتب في الهند ، وطبعته «دائرة المعارف العثمانيّة» في مدينة «حيدر آباد الدَّكَن» سنة ١٣٥٩هـ . وهو غاية في فنّه .. وصف فيه الحاسب الكَرَجيّ الأرض وعروقها ، وأبعاد المياه في جوفها ، وحواجزها ، وكيفية جَرَيانها منها مجرى الدّم من بدن الحَيَوان ، وذكر الجبال والأحجار الدّالّة على الماء ، والنّبات الدّالّ عليه ، وأنواع المياه واختلاف طعمها ، ووسائل إصلاح الفاسد منها ، وإزالة الملوحة من الماء المِلْح ، ووسائلَ تصعيده من قرار البئر ، وأحوالَ «القَنّائين» وأَلْبِسَتَهم . والموازينَ الّتي توزن بها ارتفاعات الأَرَضين ، والوزن بها ، والموازين (الّتي اخترعها هو نفسه) ، وصفة الوزن بهذه الموازين ، وصفة حفر الآبار ، وحفظ الأَقْنِيَة من الخراب ..

وما بلغ علمي نبأ كتاب آخر في هذا الفن العزيز ألّفه عالم من علماء العرب بعد هذا الكتاب ، إلا كتاب : (عين الحياه في علم استنباط المياه) . وقد وضعه مؤلّفه في سنة ١١٤٦ هـ ، أي بعد ٧٣٦ سنة مَضَيْنَ على وفاة الحاسب الكَرَجِيّ مؤلف (كتاب إنباط المياه الخفيّة) ، وإنّما عرفتُ نبذاً من مسائل المياه الخفية منثورةً في كتب علم الفِلاحة ،

لا تبلغ مبلغ مادّة كتاب الحاسب الكرَجيّ . ولعَلّ فاضلاً من الباحثين المطّلعين يعلم من أنباء كتب هذا الفنّ مالا أعلمه ، فيضيفه الى ما تهدّيْت اليه وذكرته .

(٢)

وهذا الكتاب ، يتألّف من : مقدّمة ، وبابَيْنِ ، وخاتمة .

فأمّا (المقدّمة) ، فقد خصّها المؤلّف بأشياء تتّصل بطبيعة موضوع الماء ، ففسّر الاستنباط لغةً واصطلاحاً ، وتكلّم على العالَم والعناصر الأربعة الّتي كان القدماء يظنّون أنّ العالَمَ مركّب منها ، وهي : الماء والهواء والنّار والتراب ، معلّلاً وشارحاً خواصّها ونسبة بعضها الى بعض ، وذكر الرّياح الأربع وحدوثها وصفاتها ، وبيّنَ علاقاتها بالمياه في تجفيفها أو زيادتها .

وأمّا (البابان) ، فأحَدُهُما في تعريف المواضع الّتي فيها ماء ، والّتي ماؤها قريب ، والّتي ماؤها بعيد ، وما يستدلّ به على ذلك من أمارات ذكرها . والآخَرُ تكلّم فيه على حفر الآبار ، وطرائقه ، ووسائل معالجته ، وختمه بأقوال بعضها من الاعتقاد الباطل بالنّجوم والقمر ممّا يحكيه المُنَجِّمُون ، وبعضٌ آخَرُ من حكايات أهل الشّعبذة . وقد كان الخليق بالمؤلف ، إذْ شاء أن يذكرها ، أن يُفَنِّدَها ويذكر بطلانها وسُخفها كما ينبغي لمثله بعلمه الواسع وعقله الحصيف أن يفعل . وهذان البابان هما لُبّ موضوع الكتاب .

وأمّا (الخاتمة) ، فقد ضَمَّنَها ثلاثة مباحث : الأوّل في إيضاح ما تقدَّمَ مستمدّاً من « عجائب المخلوقات » وغيره ، وهو يتعلّق بالأرض وطباعها وطبقاتها وما يحيط بها من الماء والهواء ، وصفة الماء وأنواعه ، والأبخرة .. والمبحث الثّاني في بيان المعمور من الأرض ، وطوله وعرضه ، وطول البلد وعرضه . وقسمة الأقاليم الى سبعة ، وأثر الأقاليم في الأبدان والألوان والطّبائع والأخلاق .. والمبحث الثّالث عقده لبيان فضل العلم وأهله ، فذكر فيه بعض ما تواترت به الآيات والأحاديث والآثار على فضيلته والحثّ على

تحصيله ، كأنّه أراد منه أن يحفز همم الأُمّة على اكتسابه لتفيد منه في شؤون دنياها وآخرتها . فتعمر الأرض ، وتُنْبِط المياه ، وتَزْدَرِع ، وتغرس ما تتقوّتُ به ، وما يمدّ لها من أسباب الحياة الهانئة ، إذِ النّاموس المُقرَّر في الإسلام : « إعْمَلْ لدنياك كأنّك تعيش أبداً ، واعْمَلْ لِآخِرَتِك كأنّك تموت غداً » .

وفي أثناء الكتاب وآخره ، وضع المؤلّف صوراً لِمَهابّ الرّياح ، وكرة الأرض ، والأقاليم السّبعة ، وغيرها .

ومادّة الكتاب في البابين المخصوصين بإنباط المياه ، مستفادة من كتب علم الفلاحة ، والمؤلّف يصرّح في فاتحته بأنّه « لم يقف على تأليف مستقلّ في هذه الصِّناعة »—يعني صناعة «إنباط المياه الخفيّة»، « بل على نُبَذ منه ذكرت في علم الفلاحة استطراداً » ، ولم يخُصّ شيئاً منها بالتّعيين ، وإنّما ورد في الباب الأوّل ذكرُهُ (ابن وحشية) من علماء الفلاحة الأوّلين استطراداً .

ولاريب في أنّ جملة ماتضمّنَه هذا الكتاب في المقدّمة والبابَيْن والخاتمة ، هو من العلم النّافع الّذي عُنِيَ به الفلكيّون وعلماء الفِلاحة ، وتداولوه ، وظلّ موضع نظر ودرس واعتبار ، على مسارِ رحلة العلم من زمن الى زمن آخر ، ومن أوطان في الشرق الى أوطان في الغرب ، لا تحجزه حدود مُغَلّقة المنافذ ، ولا تقيّده قيود .

ويدلّ تأليف هذا الكتاب في هـذا الزّمن المتأخرّ ، فيما تدُلّ عليه جملة معانيه ، على مبلغ تعلّق علماء الإسلام على تعاقب العصور بعلوم الحياة دقيقها وجليلها ، يدرسونها ، ويعلّمونها ، ويؤلّفون فيها لا يفترُون .

*

ومؤلّف هذا الكتاب ، العلامة الشّيخ أحمد بن عبدالمنعم الدّمَنْهُوريَ المتوفى سنة ١١٩٢ هـ (وسأبسط لك ترجمته) ، هو واحد من هؤلاء الأجلاء الذين اتّصلُوا بعلوم الطّبيعيّات والرّياضيّات والعلوم الإنسانيّة ، وفقهوها ،

وأحكموا بها ماحذقوه من علوم العربيّة والعلوم الإسلاميّة أصولها وفروعها ؛ لأنّها هي أيضاً من مطالب الإسلام . وقد عُرف هذا عنه في عصره وفي مصره وغيره ، فليس مستغرباً من مثله أن يؤلّف هذا الكتاب ، وإنّما المستغرب أن يلتمس منه تأليفَهُ فقيه متخصّص .. عاش دهرَهُ للفقه ، ووضع فيه كتاباً كبيراً في أربعة مجلدات ، ولم يؤثر عنه أنّه درس في وطنه تونس وفي الأزهر بمصر غير علوم العربية وعلوم الشّريعة الإسلاميّة ، وجُمّاع أحواله من بعد أنَّ أمير بلاده (البـاي حسين بن علي تركيّ) استصفاه إماماً لصلواته الخمس ومعلّماً لأبنائه وخُدّامه .

وقد ذكر المؤلّف هذا الرَّجُلَ الفقيه وعظّمه في فاتحة الكتاب ، ونَعَتَه بأنّه « واحد المحقّقين ، وقدوة العلماء المدقّقين ، عمدة المحصّلين لمذهب (النُّعمان) ... سيدي يُوسُف بن محمّـد الزّاغونيّ ثمَّ التّونُسيّ الحنفيّ ، إمام سلطان الأمراء ... الباي حسين بن علي .. » .

ومنشأ الاستغراب من مثله في هذا المطلب ، هو بُعده عن تخصّصه ، والأمر الطبيعيّ من مثله أن يطلب تأليف كتاب في خاصّ علمه يزيل إشكالاً ، أو يحلّ عَوِيصاً ، أو يفصّل مجملاً ، لا كتاباً في علم إنباط المياه .

ويجلو هذا الاستغراب ما علمناه من صِلة الرَّجُل بأمير بلاده ، وما كان يدركه من حاجاته ومطالبه في العُمران . وقد كان هذا الأمير مؤسس الإمارة الحسينيّة بتونس ، وإليه نسبتها ، وكان حفيّاً بالعُمران جادّاً في نشره ، وفي طليعة مُتَطَلَّباته هذا الماء ولزوم توفيره في الأرَضِينَ الّتي تخلو منه ، أو بها شحّ منه ، ولذلك دأب في توفيره ، وأنشأ الفوّارات والسّقايات ، وبنى المواجل والصّهاريج ، واستكثر من نشره . ومن هنا نشأ اهتمام الشيخ بمطالب الماء ، وحرص على تعرُّف طرق إنباطه ووسائله ، ليستعين بها هذا الأمير في نشر العُمران والخِصْب ، والنّاس على دين أمرائهم دواماً ولِزاماً .

*

وقد عرفت من هذا الكتاب ثلاث نسخ في خزائن الكتب بمصر المحروسة ، ذكرها الباحثون ، وظفرت بنسخة مصورة عن واحدة منها .

١ – نسخة في المكتبة الخديويّة ، ضمن إحدى مجاميعها (المجموعة ٢٤ ، ص ٥٣ – ٧٤) ، ذكرت في مجلة المشرق « بيروت » ، م ١٣ .

٢ – نسخة ثانية بخط المؤلّف (مسوّدته) « ناقصة من آخرها ، وخالية من الأشكال المصوَّرة ، في ١٥ ورقة ، ومسطرتها مختلفة ١٨–٢٤ سم » كما جاء وصفها في « فهرس المخطوطات المصورة » بجامعة الدُّوَل العربيّة . ص ٨١ – ٨٢ . ج ٣ العلوم . القسم الرّابع : الكيمياء والطّبيعيّات .

٣ – نسخة ثالثة في الخزانة التّيموريّة بدار الكتب المصريّة ، ١٠٨ الطبيعيات ، كتبت في حياة المؤلِّف . في آخرها : « قال مؤلّفه : الشّيخ الإمام العالم العلامة . خاتمة المحقّقين ، وارث علوم سيّد المرسلين : شيخنا وأستاذنا الشّيخ أحمد الدَّمنهوريّ . نفع الله به وبعلومه المسلمين ، تحريراً في الثّاني من الثّاني من الخامس من السّادس من الخامس من الثّاني عشر من الهجريّة النّبويّة . على صاحبها أفضل الصّلاة والسّلام » .

وأضاف النّاسخ بعد هذا قوله : « وكان الفراغ من تعليقها يوم الأربعا [ء] المبارك ثاني عشر جُمادَى الأولى سنة ١١٤٦ على يد الفقير الحقير الذّليل الى الله تعالى عبدالفتاح جاد المولى أبي الفتح الدّلجيّ الشّافعيّ ... » .

وهذا التّاريخ الصّريح هو توضيح لصورة التّاريخ المعقّد الّذي افتنّ المؤلف فيه . ولم أر غيره استعمله مثله .

وهذه النُّسخة في ٣٨ صفحة . مسطرتها ٢١ سطراً ، ١٤–١٢ سم .

وهي أتمّ من مُسَوَّدَة المؤلّف السّابقة . بها جداول ، وأشكال مصوّرة لِمَهابّ الرّياح والكرة الأرضّية والأقاليم السّبعة وغيرها .

وهي مقروءة على المؤلّف . وعليها تصحيحات بقلمه . وقد فاته تصحيح أشياء كثيرة .

وقد ظفرت بنسخة مصوّرة من هذه المخطوطة في خزانة كتب (المجمع العلميّ العراقيّ) ، وعنها نسختُ بقلمي . وعليها أجريت تحقيقي لـــه .

وقد وَثَّقْتُهُ بالأصول العلميّة المُحَرَّرَة ، وزدته شروحاً ومستدركات ، رَجاةَ أن يُنْتَفَعَ بها إن شاء الله تعالى .

(٣)

والمؤلّف هو أبو العبّاس ، أحمد ، بن عبدالمنعم ، بن يُوسُفَ ، بن صِيام[٨] — الدَّمَنْهُورِيّ . قال المؤرخ الجَبَرْتِيّ : « وقُرِئَ نسبه (يومَ وفاته بعد الصّلاة عليه في الأزهر) إلى أبي محمّد البطل الغازي[٩] » .

والدَّمَنْهُورِيّ ، نسبة الى (دَمَنْهُور). وهو عَلَمٌ على أربعة مواضع بمصر ، ذكر ياقوت، في «معجم البلدان» اثنين منها ،وفي «المشترك وضعاً والمفترق صقعاً» ثلاثة، كما ذكرها أبو الفداء في «تقويم البلدان» كذلك ثلاثة ، واستدرك علي مبارَك في «الخطط الجديدة» موضعاً رابعاً ، وهي: (١) « دمنهور الوحش» : قصبة كورة البحيرة من نواحي الإسكندريّة ، أضيفت الى الوحش ؛ لأن بقربها محلاً كان يسمّى بذلك . (٢) «دمنهور وَحْشِيّ »: من ناحية جزيرة قَوْسَنِيّا بين الفُسطاط والإسكندريّة ، قيل لها: «دمنهور وَحْشِيّ» ، للمغايرة

---

(٨) في سلك الدرر للمرادي ٢١٧/١ « خيام » بالخاء المعجمة ، وصوابه ما أثبت .
(٩) تاريخ الجبرتي ٢٨/٢ .

بينها وبين «دمنهور الوحش». (٣) «دمنهور شُبْرى»: قرية في كورة القليوبيّة بضواحي مصر القاهرة على الشطّ الشرقيّ للنّيل في شمال شبرى الخيمة نحو ميل، وتعرف أيضاً بدمنهور الشّهيد. (٤) «دمنهور»: «قرية في إقليم أسيوط، بين بني شقر ومنفلوط ذات نخيل ومساجد». وهي التي استدركها علي مبارك.

فإلى أيّ من هذه المواضع الأربعة نُسِب المترجم له؟

أغفل مترجموه تعيينه وتخصيصه، وانفرد الجَبَرْتِيُّ، أو كاد، فعيّن نسبته الى الأولى، وسمّاها «دمنهور الغربيّة»، كأنّ اسم الموضع الأوّل «دمنهور الوحش» قد درس ولم يعرف في زمانه، وذكر التّسمية السّابقة ياقوت وأبو الفداء، وذكرها ابن حوقل ثم الإدْرِيسِيُّ مفردة غير مضافة الى الوحش. وكان اسمها الأقدم «تيم أنهور» أو «تمنهور»، ومنه اسمها الحاليّ «دمنهور». قال علي مبارك: «وكانت في الزّمن الأوّل ثمان بلاد»، وأفاض في الكلام عليها. وتقع هذه المدينة على خليج الإسكندريّة. وهي في الشرق والجنوب عن الإسكندريّة، وبينهما مرحلة «أي نحو من ٢٠ ميلاً»، وتقع على ضفّة البحر المتوسّط. وبينهما مسافة، وذراع النّيل ينصبّ اليها من الذّراع النّازل من مدينة تنّيس. وكانت قاعدة إقليم البحيرة من عهد الفراعنة. وهي اليوم قاعدة محافظة البحيرة: مركز للمواصلات على سكة حديد القاهرة ـ الإسكندرية. سكانها مئة ألف نَسَمَة تقريباً. اشتهرت في العصر الإسلاميّ بنسيج الأقمشة الدّمنهوريّة الفاخرة، وكانت تحمل منها الى الجهات. واستمرّ ذلك إلى عهد محمّد علي «باشا». وتقوم بها اليوم صناعة حاج القطن. ونشأ فيها عدّة من الأفاضل والأعيان. ذكر الشّعْرانيّ في «الطبقات» ناساً منهم. وكان الشّيخ المترجم له أظهر رجال هذه المدينة وأبعدهم صيتاً في المئة الثانية عشرة الهجرية.

ولد فيها سنة ١١٠١ هـ، ونشأ يتيماً، لاوَزَرَ له.. وكان ذكيّاً فَهِماً، وفي نفسه طموح وعزم. ووجد في اكتساب العلم والتّحلّي بحليته ما يخرجه

من واقع حاله الى ما يطمح اليه من الرّفعة والمجد. والعلم بمصر مثابته «الأزهر» في القاهرة، فنزح اليه صغيراً لم يكفله أحد، فكفل نفسه بنفسه، وأكَبَّ على العلم يتدارس أصوله وفروعه، «وجَدَّ في تحصيله، واجتهد في تكميله». وكانت له حافظة قوية تستوعب وتخزن، وإرادة وعزم يحدوانه على المثابرة والمضيّ في الدّرس الى أبعد الأشواط، فأوعب علوم «الأزهر» ومناهجه. وعلوم الأزهر هي علوم اللغة العربية: نحو، وصرف، وبلاغة، ووضع، وعروض ... وعلوم الشريعة الإسلامية: تفسير، وقراءات، وحديث ومصطلحه، وكلام «عقائد»، وفقه وأصوله، وفرائض ...

واشتدّ ولعه بالفقه، وكان الفقهاء يلتزم الواحد منهم فقه مذهب واحد بعينه، لا يمدّ فكره الى غيره، فبايَنَهم، واجتهد في تَعَرُّف المذاهب الفقهيّة الأربعة المشهورة، أصولها وفروعها، وأجازه علماؤها بها، وأفتى بها كلّها، ولقب نفسه «المذاهبيَّ»، وكتب في فواتح مصنَّفاته: «الدَّمَنْهُوريّ، الحَنَفيّ، المالكيّ، الشّافعيّ، الحَنْبَليّ».

وعُني بعلوم الهندسة، والمساحة، والهيأة «الفلك»، والميقات، وصُنْع المَزاول[١٠]، والحساب، والجبر والمقابلة، والمنطق، والمُجيَّب[١١]، والأَسْطُرلاب[١٢]، وغير ذلك مما ذكره في ثَبَت

(١٠) المزاول: جمع مزولة، آلة يعرف بها زوال الشمس.

(١١) فسر في كتاب مشيخة الأزهر (١٢٥/١) بأنه: «فرع السيمياء وهو استخراج الأجوبة من الأسئلة بارتباطات بين الحروف والكلمات»، (وأحال على مقدمة ابن خلدون، وليس للمجيب ذكر في مقدمة ابن خلدون). والمجيب أو الربع الأيسر العلوي من (الأسطرلاب)، ترسم عليه خطوط رأسية وأخرى أفقية، وتدرج قوسه من الصفر الى تسعين درجة، ويدرج نصفا قطريه من الصفر الى الواحد، ويقرأ عليهما الجيب وجيب التمام من مسقطي رأس العضادة. وفيه كتب كثيرة.

(١٢) الأسطرلاب (يوناني معرب): آلة فلكية يقاس بها ارتفاع النجوم في الأفق. وعند الملاحين آلة لقياس الزوايا. وقد فصلت الكلام عليه في تمليقاتي على: خريدة القصر / قسم شعراء العراق ج٣، م ٢، ص ١٢٥ و ١٣٧.

مشيخته. وقد دوّن فيه ما قرأ من كتب، وأسماء الشّيوخ الذّين قرأ عليهم وأجازوه بها، وما طالعه هو بنفسه وحذقه ولم يتلقّه بالأخذ عن أحد، وهو ثبت طويل لخّصه الجبرتيّ. وممّا يلفت النّظر فيما ذكره، قوله: «.. وقرأت على الشّيخ محمّد الشّهير بالشحيميّ منظومة الحكيم، ومنظومة في علم الأعمال الرّصديّة، وروضة العلوم وبهجة المنطوق والمفهوم: لمحمّد ابن صاعد الأنصاريّ، وهو كتاب يشتمل على سبعة وسبعين علماً، ورسالة في علم المواليد – أعني الممالك الطبيعية: الحيوانات، والنّباتات، والمعادن».

وهذا الثبت وثيقة تاريخيّة مهمّة، ترفع السّتار عن الآفاق العلميّة الّتي كان العلماء الأزهريون يحوّمون عليها في عصر المترجم له، وتدحض الشّبهات الّتي تتّهمهم بالجمود والقصور وضيق الأفق.

وقد اكتسب الشيخ الدّمنهوريّ من موارد علماء مصره جلّ علمه، ونبغ. وأخذه الزّهو بما ثقف من العلوم والفنون، وصار يتحدّى علماء عصره بما عنده منها. وقد جاء في بعض أخباره من هذا في تاريخ الجبرتيّ أنّه «وضع أسئلة خمسة. وأعطاها علي بك الكبير، وقال له: «أعطها العلماء الذين يتردّدون عليك. ليجيبوني عنها، إن كانوا يزعمون أنّهم علماء». فأعطاها علي بك الكبير والد المؤرخ الجبرتيّ (الشيخ حسن وكان من العلماء). فقال: «هذه وإن كانت من عويصات المسائل بحيث يجيب عنها ولدنا الشيخ محمد النّفراويّ. فكلّفه الإجابة عنها، ففعل، وأجاب إجابة دلّت على رسوخه وسعة اطّلاعه وغوصه ومعرفته بدقائق أذكياء الحكماء والمتكلمين[١٣]». وهذا شاهد آخر على مشاركة جميع علماء مصر في مختلف العلوم الإنسانيّة.

قال الجبرتيّ: إنّ الشّيخ النّفراويّ ألّف رسالة في هذه المسائل الخمس العويصة، وهي: (١) في إبطال الجزء الّذي لايتجزّأ. (٢) ما معنى قول ابن

(١٣) لخصت الجوابات في كتاب مشيخة الأزهر (١٢٨/١-١٣٠).

سينا : « ذات الله نفس الوجود المطلق ؟ » (٣) ما معنى قول أبي منصور الماتريديّ : « معرفة الله واجبة بالعقل ، مع أنّ المجهول من كلّ وجه يستحيل طلبه » ؟ (٤) ما معنى قول البرجيليّ : « إنّ مَنْ مات من المسلمين لسنا نتحقق موته على الإسلام » ؟ (٥) هل الاستثناء في الكلمة المُشَرَّفة (لا إلهَ إلا الله) متّصل أو منفصل » ؟ .

وقال الجبرتيّ : « وكان له دروس في المشهد الحسينيّ في [شهر] رمضان ، يخلطها بالحكايات وبما وقع له حتّى يذهب الوقت » .

ولم يذكر في ترجمته له قيامه بالتدريس في « الأزهر » ، وذكره عَرَضاً في ترجمته لتلميذه الشيخ عبدالله الشرقاويّ الشّيخ الثّاني عشر للأزهر ، قال : « وشدّ [الشيخ الشرقاويّ] رحاله الى الجامع الأزهر ، حيث درس على كثير من العلماء الأعلام ، مثل : الشّهاب الملويّ ، والشهاب الجوهريّ ، والعلامة للشيخ علي الصّعيديّ ، والشّيخ الإمام الحفنيّ ، والشّيخ الإمام الدّمنهوريّ » . والشّيخ الإمام الدّمنهوريّ قد ولي مشيخة الأزهر كما سيأتي خبره . ولم تكن هذه المشيخة للأزهر تسند إلا الى من درّس فيه ، وأفاد الطلاب ، وبرز واشتهر . وقد جاء في ترجمة الشّيخ محمّد بن عليّ الشّنوانيّ الّذي ولي مشيخة الأزهر بعد الشّيخ الشّرقاويّ مايؤكّدُ هذه الحقيقة ، وفيه طول ينظر في تاريخ الجبرتيّ .

ويظهر أنّ الشّيخ لم يطلب علمه في غير مصر من البلدان الإسلاميّة ، ولم يغادر مصر إلا مَرَّةً واحدة في سنة سبع وسبعين ومئة وألف . سافر الى الحجاز حاجّاً مع الرَّكْب المصريّ . قال الجبرتي : « وأتى رئيس مكّة وعلماؤها لزيارته ، وعاد الى مصر . وقد مدحه الشيخ عبد الله الأُدْكاويّ (١٤) بقصيدة يهنئه بذلك » ، وأورد منها أربعة أبيات .

(١٤) عبدالله بن عبدالله بن سلامة ، من أهل قرية (أدكو) قرب (رشيد) ، ويعرف بالمؤذن. ولد سنة ١١٠٤ هـ ، وتعلم بالقاهرة ، وتوفي فيها سنة ١١٨٤ هـ . له شعر ، ومؤلفات ، ومقامة في المجون . وترجمته في تاريخ الجبرتي ٣٥٢/١ ، وخطط علي مبارك ٥١/٨ ، والأعلام ٢٣٤/٤ ط ٢ ، وغيرها .

وفي أواخر سنة ١١٨٢ هـ ، وهو في الحادية والثّمانين ، ولي مشيخة الأزهر . ويعدّ صاحب هذا المنصب العلمي الدّينيّ الرّفيع أعظم فقهاء القطر المصريّ . وكان في عهد الخِلافة العثمانيّة يقابل « شيخ الإسلام » في دار الخِلافة « إسلامبول » . وقد ورد في بعض النّصوص التّاريخيّة ذكر « شيخ الأزهر » قبل بروزه الرَّسْمِيّ على أثر الفتح العثمانيّ لمصر . وكان الشّيخ محمّد ابن عبدالله الخَراشيّ المتوفّى في ١١٠١/١٢/٢٧ هـ أوَّل من ولي مشيخة الأزهر في عهد الخِلافة العثمانيّة، وهذه السنة هي سنة ولادة الشّيخ الدّمنهوريّ الّذي كُتِب له أن يلي مشيخة الأزهر ويجيء ترتيبه الشّيخ العاشر . وكانت هذه المشيخة يتمّ اختيارها باتفاق شيوخ الأزهر فيما بينهم من غير تدخُّل الدّولة في اختياره وتعيينه . وخرج محمّد علي باشا على هذا « التّقليد » حين اختار علماء الأزهر الشّيخ المهديّ شيخاً للأزهر ، فأبطل اختيارهم ، وعيّن الشّيخ الشّنوانيّ ، على زهد هذا الشّيخ في هذا المنصب ونزوله عنه للشّيخ البدويّ الهَيْثَميّ . وكانوا اذا أجمعوا على اختياره ، نهض الوالي فألبسه حُلَّةَ فَرْوِ سَمُّور ، إعلاناً بتعيينه(١٥) .

وقد ولي الشَّيْخ الدَّمنهوريّ هذه المشيخة عقب وفاة الشَّيخ التّاسع (وهو الشّيخ عبدالرّؤوف السّجينيّ) في شـوّال من سنة ١١٨٢ هـ وجاء في تاريخ الجبرتّي : أنّه « ولي المشيخة بعد وفاة الشّيخ الحفنيّ » وتابعه المراديّ في « سلك الدرر » . ونص تاريخ الجبرتيّ في «المطبوع » مُحَرَّفٌ ، بآيةِ أن علي مبارك نقل في كتابه « الخطط الجديدة » ترجمة الشّيخ الدَّمَنْهُوريّ من هذا التّاريخ ، وفيه « السَّجينيّ » ، وهو الصَّحيح . ذلك أن الشّيخ الحفنيّ إنّما كان الشّيخ الثّامن للأزهر ، وتوفّي سنة ١١٨١ هـ ، فولي مَشْيخَتَهُ بعده الشّيخ السَّجينيّ ، ولم تطل مدّته فيها ، وتوفّيَ في الرّابع من شوّال سنة ١١٨٢ هـ ،

(١٥) مشيخة الأزهر (١٨٢/١) .

فوليها بعده الشّيخ الدّمَنْهوريّ ، وظلّ شيخاً للأزهر الى وفاته مع انقطاعه عنه مدّة لم تحدّد ، لمرضه . قال الجبرتيّ : « اجتمع الفقير [يعني نفسه] الى المترجم قبل وفاته بسنتين . ولمّا عرفني ، تذكّر الوالد وبكى وعصر عينيه ، وصار يضرب بيده على الأخرى ، ويقول : ذهب إخواننا ورفقاؤنا . ثمّ جعل يخاطبني بقوله : يا ابن أخي ! أُدْعُ لي . وظلّ منقطعاً بالمنزل . وأجازني بمرويّاته ومسموعاته ، وأعطاني برنامج شيوخه ، ونقلته » . قال : « ولم يزل حتى تعلل [يقصد اعتلّ]، وضعف عن الحركة ، وتُوُفّي يوم الأحد عاشر شهر رجب من السنة ١١٩٢ هـ ، وكان مسكنه ببولاق . وصُلّي عليه بالأزهر بمشهد حافل جداً ، وقرئ نسبه الى أبي محمّد البطل الغازي ، ودفن بالبستان . وكان آخرَ من أدركنا من المتقدّمين[١٦] » .

هكذا خرج هذا اليتيم الصّغير ، الّذي كفل نفسه بنفسه ، من دنياه الى آخرته كبيراً معظّماً مأسوفاً عليه ، بفضل هذا العلم الّذي جدّ في تحصيله فأدرك منه ما أدرك من الحظوظ الكبيرة ، وبفضل شمائل الأدب والتقوى الّتي تحلّى بها فطرةً ثم اكتساباً من البيأة العلمية الإسلاميّة ، وجسّدَها بالسّيرة الصّادقة الجادّة ، فعظمت منزلته وهيبته في النّفوس ،وأجلّتْه أمّته حيّاً وميّتاً .

« وقد كان قوّالاً للحقّ ، أمّاراً بالمعروف ، فهابته الأمراء ، واحترمه ولاة مصر ، وهو يتجمّع عن المجالس والجمعيّات ؛ وقصدته الملوك من الأطراف ، وهادته بهدايا فاخرة ، وهو سمح بما عنده من الدّنيا[١٧] » .

وسمّى الجبرتيّ من الملوك الّذين هادوه السّلطانَ مصطفى بن السّلطان أحمد خان ، « وكانت له عناية بالعلوم الرّياضيّة والنّجوميّة ، ويكرّم أرباب المعارف ، فكان يُهادي الشّيخ الدّمَنْهُوريّ ، ويُرْسل اليه الصّلات والكتب ، كما كان

(١٦) تاريخ الجبرتي (٢/٢٨) .
(١٧) تاريخ الجبرتي ايضاً .

يفعل ذلك مع الشّيخ حسن الجبرتيّ والد المؤرّخ عبدالرّحمن الجبرتيّ ، لتميّزه بالعلوم الرّياضيّة والفلكيّة[18] » .

وقد تجلّت مكانته في اختيار علماء مصر إيّاه شيخاً للأزهر ، وفي شهادة مؤرّخيه .

وصفه المؤرّخ الجبرتيّ بأنه « الشّيخ الإمام العلامة المتفنّن ، أوحد الزّمان ، فريد الأوان » .

وقال المؤرّخ محمّد خليل المرُاديّ في «سلك الدُّرَر»[19] : هو « الشّيخ الإمام العلامة الأوحد ، آية الله الكبرى في العلوم والعرفان ، المُفْتَنّ في جميع العلوم معقولاً ومنقولاً ، أبو المعارف ، شهاب الدّين ... نسيج وحده في هذه الأعصار » .

وقال فيه الشّيخ التّاودي ، وحكاه عنه العلامة الشّيخ عبدالحيّ الكتّانيّ الإدريسيّ في «فهرس الفهارس والأثبات»[20] : « بحر لا ساحل له ، وشيخ مالقيت مثله » .

وقال فيه الحوّات فيما حكاه العلامة الكتّانيّ أيضاً : هو « أعلم أهل عصره بالدّيار المصريّة في جميع العلوم النّقليّة والعقليّة » .

وقال الحافظ الزّبيديّ في «ألفيّة السَّنَد» له (وحكاه العلامة الكتّانيّ أيضاً) :

« إمام أهل العصر في المعارف . علامة الوقت مجير الخائف ،

نِيطَتْ بِهِ رغبةُ كُلِّ راغبِ
في فَهْمِ فِقْهِ سائرِ المذاهبِ
وكم له من كُتُبٍ مُؤَلَّفَهْ
في كُلِّ فنٍّ قد غدت مشرّفَهْ »

(١٨) تاريخ الجبرتي .
(١٩) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (١١٧/١) .
(٢٠) ج ٣٠٢/١ .

وقال فيه أيضاً : « وكان عالي الإسناد ، رفيع العماد ، أَلْحَقَ الأحفاد بالأجداد ، ونزل النّاس بموته درجة ، إذْ هو آخر من كان بينه وبين الحافظ البابليّ واحد » .

وعقّب العلامة الكتّانيّ على هذا فقال : « وفي ذلك نظر ، لأنّه هو وأمثاله ممّن روى عن الزّعبليّ ، بينهم وبين البابليّ واحد . وابن عبدالله المغربيّ ، الّذي مات بعد المئتين ، يروي عن البابليّ بواسطة واحدة ، فاعلمه (نرويه) وكلّ ماله من طريق الحافظ مرتضى الزّبيديّ ، والشّيخ التّاوديّ ، والشّنوانيّ ، وغيرهم – عنه ، وأخبرنا به الشّيخ موسى بن محمّد المرصفيّ المصريّ ، عن الشّمس محمّد الخنّابيّ الشّافعيّ ، عن أبي عليّ حسن بن درويش القويسنيّ ، عن أبي هريرة داوود بن محمّد القلعيّ ، عن الشّهاب الدّمَنْهُوريّ ، وربما روى عن الخنّابيّ القلعيّ شفاهاً » .

مؤلفاته

ألّف الشيخ الدّمنهوريّ في جُلّ ما ثقف من العلوم كتباً، يقول مؤرّخه الأوّل عبدالرَّحْمن الجَبَرْتيّ : « غالبها رسائل صغيرة الحجم ، منثورة ومنظومة » ، وقد « اطّلع على غالبها » ، وسردها أربعة وثلاثين ، ثمّ قال : « و [له] غير ذلك » .

وقال علي مبـــارك في « الخطط[٢١] » : « مؤلّفاته كثيرة جِدّاً » ، ورَدَّد قول الجبرتيّ : « غالبها رسائل صغيرة الحجم ، منثورة ومنظومة » ، غيرَ أنّه لم يُسَمِّ منها أكثر من خمسة عشر كتاباً ، لا كتاب منها إلا وهو مذكور في تاريخ الجبرتيّ .

وسمّى محمّد خليل المُراديّ في « سلك الدُّرَر » ثلاثة من كتبه .
وكذلك فعل الشَّيخ عبدالحيّ الكتّانيّ ، فذكر في كتابه « فهرس الفهارس

(٢١) الخطط التوفيقية الجديدة (ج ١١/٣٥) ، المطبعة الكبرى الأميرية ، ١٣٠٥ هـ .

والأثبات » ثلاثة منها أيضاً ، لكنّها غير الكتب الثلاثة التي ذكرها المراديّ .

وذكر الأستاذ خير الدين الزركلي في « الأعلام » أسماء عشرة منها ، وقال : « له غيرها » .

وأثبت له الأستاذ علي عبدالعظيم في « مشيخة الأزهر » أربعين كتاباً ، اثنان منها وجدهما في دار الكتب بمصر ، يقول : « ليس فيهما اسم المصنّف » . هما : « شرح الأوفاق العدديّة » « وهو بحث في استنباط آفاق المستقبل من طريق الأعداد » ، و « كيفيّة العمل بالزيارج العدديّة » ، وثالث سمّاه « الدرّة اليتيمة في الصنعة الكريمة (الكيمياء) »،ولم يذكر أين وجده اسماً أو رسماً ، والثلاثة لم ترد في قائمة المؤرخ الجبرتيّ ، فبقي ممّا تصح نسبته الى الشيخ الدَّمَنْهُوريّ سبعة وثلاثون كتاباً ، وهي تزيد ثلاثة كتب على الأسماء التي سردها الجبرتيّ .

وحكى العلامة عبدالحيّ الكتّانيّ عن التاوديّ قولاً له حكاه عن غيره بصيغة التمريض . قال : «قال التاوديّ : قيل إنّ عدّة تآليفه تقرب من تآليف السيوطيّ » . ولم يعقب على هذه الحكاية بشيء ، وهي بعيدة عن الحقيقة . فإن تآليف السيوطيّ من الكثرة الثابتة بمكان ، والعلامة الكتّانيّ نفسه يقول في موضع آخر من كتابه : « وقد ظفرت في مصر بكرّاسة من تآليف السيوطيّ . عدّدَ فيها تآليفه الى سنة ٩٠٤ هـ – قبل سبعة أعوام من وفاته – أوصل فيها عدّة مؤلفاته الى (٥٣٨ كتاباً) » .

وقد كثرت الأقوال في عدّة تآليف السيوطيّ عند حاجي خليفة في «كشف الظنُون» . واسماعيل باشا البابانيّ البغداديّ في كتابيه « إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنُون » . و « هديّة العارفين » ، وكارل بروكلمان في « تاريخ الأدب العربيّ » . وألّف أحمد الشّرقاويّ إقبال من فضلاء المغرب « مكتبة الجلال السيوطيّ » . أحصى فيه للسيوطيّ (٧٢٥ كتاباً) غير المكرور والمنحول .

وقد أحصيت المعروف من كتب الشّيخ الدّمَنْهُوريّ في مصادر ترجمته وبعض فهارس المخطوطات ، فبلغت (٤٢ كتاباً) .

وها هي ذي مصنّفةً بحَسَب موضوعاتها ، ومنها ماخفي وجه موضوعه ، والى جانب كلّ كتاب منها المصادر الّتي ذكرته ، وقد رمزت الى كل واحد منها برمز .. وهي مع رموزها :

عجائب الآثار : للمؤرّخ عبدالرّحمن الجبرتيّ (ع) .

الخِطط التّوفيقيّة الجديدة : لعلي باشا مبارك (خ) .

سلك الدُّرَر في أعيان القرن الثّاني عشر : لمحمّد خليل المراديّ (س) .

فهرس الفهارس والأثبات : لعبد الحيّ الكتّانيّ (فف) .

فهرس المخطوطات المصّورة (فم) .

الأعلام : لخير الدين الزّركلي « ط ٢ » (أ) .

مشيخة الأزهر : لعلي عبدالعظيم (م) .

أ ــ العلوم الإسلامية :

١ ــ الفيض العميم في القرآن العظيم (أ) .

٢ ــ كشف اللثام عن مخدّرات الأفهام ، على البسملة (ع . م ــ وهو في م) : « كشف اللثام عن مخدرات الأفهام ، في البَسْمَلَة والحمْدَلَة . منه نسخة في المكتبة التّيموريّة ») .

٣ ــ تنوير المُقْلَتَيْن بضياء أوجه الوجه بين السُّورتين (ع . م) .

٤ ــ شفاء الظمآن بسرّ قلب القرآن (ع) ، وفي (م) : « شفاء الظمآن بسرّ يس قلب القرآن ، وهو شرح لمنظومة تتعلّق بسورة يس ، ذكرها أحمد بن ساعد[٢٢] في كتابه المسمّى بروض العلوم . منه نسخة

(٢٢) في تاريخ الجبرتي : « صاعد » بالصاد المهملة ، وقد أسلفت خبره في أثناء البحث .

خطّيّة بدار الكتب ، رقم ٣٤٦ هـ ٢ ب » . وفي (س) : « و [له] شرح على أوفاق القرآن » ، ولعلّه هذا .

٥ ــ حسن التّعبير لما للطّيبة من التكبير ، في القراءات العشر (ع) ، وفي (م) : « طَيِّبة النَّشْر في القراءات العشر ، لابن الجَزَريّ المتوفّى سنة ٨٣٣ هـ » .

٦ ــ خلاصة الكلام على وقف حمزة وهِشام (ع . م) .

٧ ــ نهاية التّعريف بأقسام الحديث الضَّعيف (ع . خ . فف . أ . م) ، وفي (م) : « هو شرح لأربعة أبيات من ألفيّة العِراقيّ في مصطلح الحديث ، ومنه نسخة خطّيّة بالتّيموريّة ، رقم ١٠٦٦ تيمور » .

٨ ــ الكلام السّديد في تحرير علم التّوحيد (ع . خ . م .) .

٩ ــ المِنَحُ الوفيّة في شرح الرّياض الخليفيّة ، في علم الكلام (ع . م) .

١٠ــ دُرَّة التوحيد ، منظومة في علم التّوحيد (م) .

١١ــ القول المفيد في شرح دُرَّة التّوحيد . وهو شرح للأرجوزة السّابقة ، وكلاهما مخطوط بدار الكتب ، رقم ٢٢٩١٠ ب (م) .

١٢ــ تحفة الملوك في علم التّوحيد والسُّلُوك ، منظومة في مئة بيت (ع.م) .

١٣ــ الفتح الرَّبّانيّ بمفردات ابن حَنْبَل الشّيبانيّ (ع . خ . فف . أ . م) .

١٤ــ طريق الاهتداء بأحكام الاهتداء والاقتداء ، على مذهب أبي حنيفة (ع . خ . م) .

١٥ــ فيض المنّان بالضّروريّ من مذهب النّعمان (ع . م) .

١٦ــ منع الأثيم عن التّمادي في فعل الكبائر (ع . م ــ وفيهما : على التمادي) .

١٧ــ حسن الإنابة في إحياء ليلة الإجابة ، وهي ليلة النصف من شعبان (ع . م) .

١٨- إقامة الحُجّة الباهرة على هدم كنائس مصر والقاهرة « فتوى » (ع.خ.م) .

ب - الأخلاق والسّياسة :

١٩- منهج السّلوك إلى نصيحة الملوك (ع.خ . أ . م - وفي ٢ ، ٣ ، ٤ : منهج السُّلوك في نصيحة الملوك) .

٢٠- سبيل الرشاد الى نفع العباد (أ . م) .

جـ - علوم اللغة العربية :

٢١- إيضاح المشكلات من متن الاستعارات (ع) ، وفي (س) : « و[له] شرح على رسالة الاستعارات السَّمَرْقَنْدِيّة » ، ولعلّه هذا .

٢٢- منتهى الإرادات في تحقيق الاستعارات (ع.خ. أ . م) .

٢٣- الدّقائق الألمعيّة على الرِّسالة الوضعيّة (ع.خ -وفي خ « الرقائق » بالرّاء . م - وفيه : الدّقائق الألفيّة على الرّسالة الوضعيّة العَضُديّة للإيجيّ في علم الوضع) .

٢٤- حلية اللبّ المَصُون بشرح الجوهر المكنون (ع.خ) ، وفي (م) : حلية اللب المصون في شرح الجوهر المكنون ، في البلاغة . منه نسخة خطّية بالمكتبة التّيموريّة » . وفي (أ) : « حلبة .. » بالباء المُوَحّدة (تصحيف) .

د - علوم مختلفة :

٢٥- عين الحياهْ في علم استنباط المياه (ع . خ . أ . م . فم .) .

٢٦- القول الصّريح في علم التشريح (ع.خ . أ . م) .

٢٧- منتهى التّصريح بخلاصة القول الصّريح في علم التّشريح (فم . ج ٣ - ٢٥٣ - العلوم - قسم الطب - الكتاب الثّاني ، ١٠ ورقات : رواق الشّوام ، الأزهر ، ١٢٥٠ الطب) .

٢٨- منظومة في علم الطّبّ المُجرَّب - فم ٣-٢٥٩ ، ومجلة معهد المخطوطات - ثلاث ورقات .

٢٩- القول الأقرب في علاج لسع العقرب (ع.م) . وفي (م) : «.. لَسْعَة» .

٣٠- الزّايرجة (م : «وهو شرح لكتاب كشف الرّان عن وجه البيان . لمحيي الدين بن عربي ، في التصوّف واستطلاع أحداث المستقبل») .

٣١- الزّهر الباسم في علم الطّلاسم (ع.م) ، وفي (م) : «هو رموز سحريّة» .

٣٢- إيضاح المبهم في معاني السُّلَّم (ع.أ.س.م) ، وفي (س) : «شرح على سلّم الأخضر في المنطق» ؛ وفي (أ) : «إيضاح المبهم من معاني السلم» ، وفي (م) : «إيضاح المبهم من متن السُّلَّم ، وهو شرح على متن للأخضريّ في المنطق ، منه ثلاث نسخ خطيّة بدار الكتب - ٣٤٤٣ ج . ٣٤٥٦ ج ، ٤٣٣١ ج» .

٣٣- إحياء الفؤاد بمعرفة خواصّ الأعداد (ع . خ . م) .

٣٤- عِقد الدُّرَر بما للمثلّث من الفوائد (م - رتّبه على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة في فضل العلم ومزدوجاته . منه نسختان مخطوطتان بدار الكتب - (رقم ٢٧ ش . ٢٨ ش) .

٣٥- الأنوار السّاطعات على أشرف المربّعات ، وهو الوفق المئينيّ (ع . م) .

٣٦- الدُّرَّة اليتيمة في الصَّنعة الكريمة «الكيمياء» (م - لم يذكر مصدره) .

٣٧- حلية الأبرار فيما في اسم عليّ من الأسرار (ع . م) .

٣٨- بلوغ الأَرَب في اسم سيّد سلاطين العرب (ع . خ . م) .

٣٩- اللطائف النُّوريّة في المِنَح الدَّمَنْهُوريّة ، وهو ثبت مشيخته والكتب الّتي قرأها (ع . فف . م) . وفي (م) : «منه نسخة بدار الكتب - رقم ١٣١ مصطلح الحديث . ٥٤ ورقة» . وفي (رقم ج ٢ - ٢٢٤ التّاريخ القسم الأوّل) .

٤٠– إرشاد الماهر الى كنز الجواهر (ع . م « لم يُحَدَّدْ موضوعه ») .

٤١– الحَذاقة بأنواع العلاقة (ع.م « لم يُحَدَّد موضوعه ») .

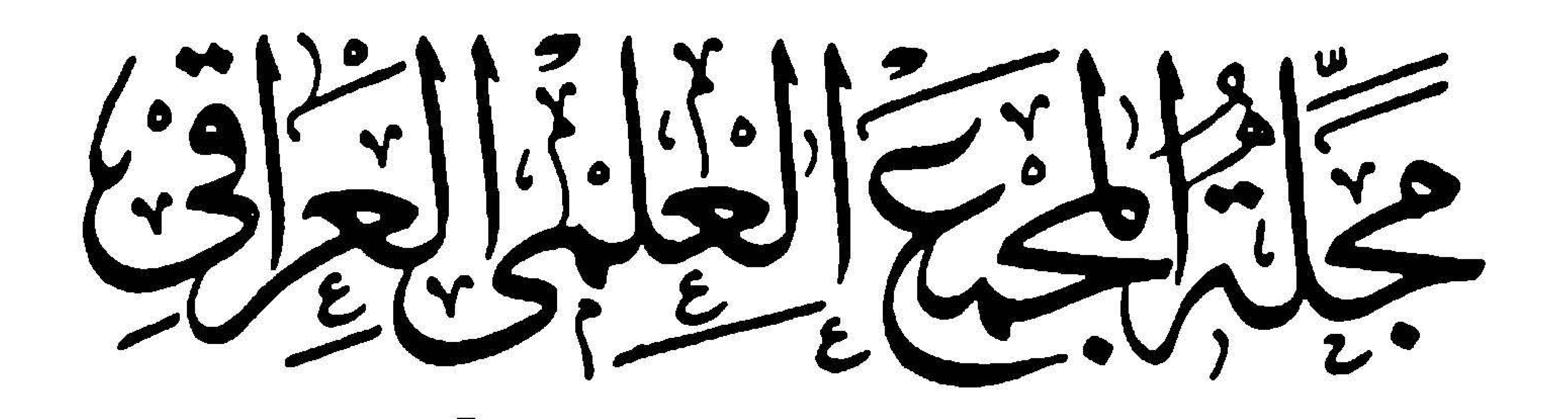
٤٢– إتحاف البريّة بمعرفة العلوم الضَّروريّة (ع . م) .

رحم الله الشيخ العلامة أحمد بنَ عبد المنعم الدَّمَنْهُورِيَّ ، وأجزل مَثُوبته .

الفهرس

الصفحة

تابين الراحلين من اعضـــاء المجمع





الجزء الاول ـ المجلد التاسع والثلاثون

بغـــــداد

شعبان ١٤٠٨هـ ـ آذار ١٩٨٨م